نقيض ذلك ثم ترى المعتزلة يقولون في كتبهم كان الناس على دين واحد
فحدث الجبر في امرة معاوية والمروانية ثم حدث القول بتكليف ما لا يطاق
من فلان فيأتون على جميع مذاهب مخالفيهم انها حوادث تجد ذلك في
حكاية الملل والنحل وافراد المقالات لا في كتاب ولا الف كتاب ثم تنظر كتب
المسمية بالسنية يقولون كان الناس جميعا قبل حدوث القدرية على ان
الله خالق لافعال العباد ليس للعباد منها الا النسبة المسماة بالكسب ويجمعون
على كذا وكذا الجميع مذاهبهم على ما تراه وتعتقده ثم حدث راي المعتزلة
بان العبد ممكن وحدث كذا وكذا الى آخر مذهب المخالف كذلك ويسما
المعتزلة بالعدلية واهل العدل والتوحيد واهل الحق والفرقة الناجية
والنزهون بنفي النقص وغير ذلك وتسمي خصومها بالمجبرة والقدرية المجوزة
المشبهة الحشوية الموجبة وغير ذلك والاشاعرة وسلفهم
مثل ابن كلاب والمحاسبي وغيرهم يسمون نفوسهم باهل السنة ويسمون
المعتزلة المبتدعة القدرية وقس على هذا فترى الضعيف الراي والدين
بل القوي الذي لم يتداركه الله سبحانه بفضل عناية وتوفيق ترى يضيق
ما نشا فيهم ولقنوه وكتبه وقد ملات الارض مع سعتها بالتحذير من كتب
المخالف والجلوس الى المبتدع كما فعلته قريش فيما لا تغلبه ويطرق سمعه
في ذلك كلما كرر النظر والجم الغفير فقد رايت ما فعلوا ومن يرد الله هدايته
يتهم هذا ويتعود عقله لكن قليل ما هم اما تراه يشب على ما اعتاد عليه
ويشيب على ما شب عليه ويمضي عمره المنتدبين بالقيام والصيام وطالب العلم
بالتصنيف والقيام على الخلاف والوفاق وربما تعرف المذاهب خبير من اهلها
ويعلم انه قد صار بينه وبين من لقنه مراحل ثم همه مصروف الى ما نشا
عليه بتثبيته وتهدم مقابله ما جد خلاف هذا الا في الندرة من النادر
من المباحث ولذا تجد يقول في المبحث اذا اراد مخالفة شيعته الله يحب
الانصاف يتبجح بانه قد انصف وهذه الجملة دليل عدم الانصاف
وانه لو كان ديدنه الانصاف لما يدعي لما استغرب هذه النادرة التي وقعت
لانه طول عمره يزعمه جار على الانصاف فهذا امثل
من قال فرسي والحمد لله وانما يفعلون ذلك فيما بعض عنهم بل قد تجد

ادهم

أحدهم ينتقل من مذهب الى آخر بسبب شيخ او دولة او غير ذلك ومن الاسباب
الدنيوية والعصبية الطبيعية من مذهب بريبه الى آخر بريبة كما روا ان
ابن عبد الحكم اراد مجلس الشافعي بعد موته فقيل له قال الشافعي الربيع
احق بمجلسي فغضب وتمذهب لمالك وصنف كتابا سماه الرد على محمد
ابن ادريس فيما خالف فيه الكتاب والسنة هكذا ذكره ابن
السبكي وقد علم الله سبحانه والراسخون في
العلم ان الحق لم يكن برمته عند فرقة والبواطل عند البواقي امكان كلا
منهم يدعي ذلك بل عند كل قوم حق وباطل لكن الحق والحمد لله لا يخرج
من مجموعهم وما الحق كله الا عند من يقفو على ما كان عليه النبي صلى الله
عليه وسلم ولا بد له من الخطا في اجتهاداته ايضا في المسائل المعفو عن الخطا فيها
لا في المهمات فالمفروض انه يقف على ما وقفه الله ورسوله فلا خطا
وقل من الذي وقف على ما وقف وقنع بما عن الله وعن رسوله صلى الله عليه
وسلم ولم يتمذهب ويؤثر الاسلاف على الكتاب والسنة ويترك هذا الدا
الدوي ويتمسك بالانصاف فيما ياتي ويذر والله لا اعرف احدا في هذه
الكتب التي قد طبقت البسيطة الا وقد تخبط وخلط وتعسف لمذهبه وما
انصف ورد كتاب الله الى عقيدته وحرف اما المتكلمون فهو
صنيعهم وان كان في تضعيف كلامهم ما ينفع في الجملة وما ابتدع قوم
بدعة الا وتركوا سنة ولا تخلص من الخبر الا الشيطان لعنه الله ولكن
هؤلاء المحدثون الذين يزعمون الثبوت على السنة وينهون عن الكلام
قد سرت فيهم المفسدة اكثر منها في غيرهم وانهم قاعدون في طريق الشريعة
والمفسدة والحرب والفتك والحيات والعقارب والسموم والسباع في اجادة
اعظم ضررا انها في بنيات الطريق مع ان داهم جا من الخوض في الكلام
وصاروا اشد عصبية من المتكلمين لان المتكلمين بنوا امرهم على التفتيش
وان لا يلايم الطالب على المباحثة وايراد الاسئلة واختراع التعليلات
بل يعدون ذلك ظرافة وكمالا فربما انكشف للمتاخر مع تعاقب
الانظار مقارب كلام الفريقين ونحو ذلك كما انكشف لاتباع الاشعري
بطلان الجبر ثم تسننوا بالكسب ثم تبين عواره فصاروا الى مذهب

Copyright © King Saud University